الصحافة التجارية والصحافة الصفراء

المرحلة الاولى

بين الحين والآخر نسمع بمصطلح (الصحافة الصفراء) يرد على لسان بعض السياسيين أو رجال المال والأعمال أو الفنانين أو الرياضيين أو حتى بعض العاملين في الوسط الصحفي وغيرهم من الشخصيات البارزة أو المعروفة في أي مجتمع كان.. و ، قد يقصد البعض بذلك صحافة الإثارة أيا كانت الإثارة سياسية أو اجتماعية أو جنسية، وقد يقصد البعض الآخر مفهوم تضخيم الحدث والمبالغة في سرده. و أيا كانت المفاهيم فإن الجميع يجمع على أن هذا النوع من الصحافة أو صحف الإثارة، أقول يجمعون على إنها تلقى رواجا لدى القراء

*قالوا في تعريف الصحافة الصفراء

١ هي صحافة تفتقر إلى المصداقية، والدقة، وتميل إلى التهويل والمبالغة، وتعتمد على الإشاعات أو الأخبار الكاذبة أو الأخبار المحرفة أو الأخبار المصنوعة..

٢ الصحافة الصفراء هي نوع من الصحف يهتم بنشر أخبار الجريمة والعنف والجنس والإثارة دونما نظر لخطورة تأثيرها على وجدان الأمة ونفسية الجماهير.

٣ الصحافة الصفراء، أو صحافة الفضائح، هي الصحافة التي تسترزق من أخبار و فضائح المجتمع و الفنانين و المواضيع الجنسية و مواضيع السحر و الشعوذة ، و الكثير من المعلومات الخاطئة، وأغلبية المادة الإعلامية (إن كان بالإمكان إطلاق هذه التسمية عليها) بهذه الصحف تكون مسروقة و مأخوذة من وسائل إعلام أخرى و في الغالب من مواقع شبكة الأنترنيت.

٤ الصحافة الصفراء هي صحافة تقوم على مبدأ ضرورة تجنب التأكيدعلى حقيقة ما، ناهيك عن التوصل إلى نتيجة معينة.

٥ الصحافة الصفراء، هو اصطلاح يطلق على الصحف (الجرائدوالمجلات) التي تهتم بنشر القضايا المثيرة التي لا تخاطب في الإنسان سوى غرائزه، فمجالها نشر الفضائح، وأخبار الجنس والجريمة و الحياة الخاصة للمشاهير، وتعتمد كثيرا على الصور

٦ الصحف الصفراء تهدف بالدرجة الأولى إلى جمع الربح، ولذا فهي مضطرة إلى تغيير طبيعة الأخبار والاعتماد على الإثارة والضجيج الإعلامي.

٧ الصحافة الصفراء، مفهوم يشمل مجمل الممارسات القائمة على أساس الابتزاز في العمل الصحفي، واختلاق القصص المثيرة، والمبالغة المسيئة، وتحريف الكلام عن مواضعه بقصدالإثارة، وإن كان على حساب الغير وإدعاء العلم بالأشياء، ومحاولة تشويه صورة الآخرين، والترويج للأكاذيب والخرافات.. ما أوردناه أعلاه يمثل بعض الآراء السلبية بحق الصحافة الصفراء، ونحن لا نستطيع أن نؤيد أحدا أو نقف بالضد من آخر.. بل نقول، نعم هناك صحافة رخيصة تقوم على الابتزاز وفبركة بعض الأخبار والوقائع والمبالغة والتهويل في بعضها الآخر، وهذا النوع من الصحافة موجود في معظم البلدان...

قد يتساءل احدنا، هل الكل يقف بالضد من الصحافة الصفراء؟ هل هناك مواقف معتدلة بحق الصحافة الصفراء؟ وما مدى رواج وشعبية الصحافة الصفراء؟

وهنا أقول، الصحف الصفراء في روسيا تحتل مكان الصدارة فيمفردات البيع والربح ونسبة عدد القراء، خاصة بعد أن دخلت روسيا مايسمى اقتصاد السوق وبعد أن تخلت الدولة عن تمويل الصحف كما في فترة الاتحاد السوفيتي.

أما في العالم العربي فان مصطلح الصحافة الصفراء اقتحم قاموس الصحافة العربية في العقد الأخير من القرن الماضي بعد السماح بإصدار صحف بتراخيص أجنبية، وشكلت تلك الصحف ظاهرة صحافية جديدة وأثارت جدلا واسعا في المجتمع العربي، سواء على مستوى سياستها التحريرية أو لغتها الصحفية أو سقف حريتها فيما تتناوله من موضوعات

وهي الصحافة الوحيدة التي تتمكن من سبر أغوار الحقيقة بأسلوب تعجز عنه وسائل الإعلام التقليدية.

وقبل أن يتحول اللفظ إلى سبة، كانت ولا تزال، ،« الصحف الصفراء » مصطلحا يشير إلى شكل معين لصحف أصغر من الشكل المعتاد ويباع بسعر أرخص مما يشكل تحديا للصحف التقليدية كبيرة الحجم. وينبغي أن لا ننسى إن أنظمة الحكم الديكتاتورية تدعم وتؤيد وتساند الصحف الصفراء، فهي وسيلة ناجعة وناجحة للإلهاء وإتاحة قدر هائل من القيل والقال في أمور لا تضر ولا تنفع .

أما في بعض الدول العربية فان الصحافة الصفراء تعتبر الضلع الثاني لمثلث الصحافة بجانب الصحافة السوداء، أي الصحف الحكومية التي لا هم لها إلا الإشادة بكل ما يصدر عن الحاكم والوصول به لدرجة التأليه، والضلع الثالث هي (الصحافة البيضاء) وهى صحف المعارضة المستأنسة التي يوافق النظام على إصدارها، وتسمى بالصحافة البيضاء لان القارئ لا يجد فيها ما يقرأه، فهي صحافة لا تعارض ولا تمتدح الحاكم،

نعود ونقول إن (الصحافة الصفراء) قد تكون يومية أو أسبوعية أو شهرية أو دورية.. مثلما إنها قد تكون واسعة الانتشار، ذائعة الصيت، شديدة الأثر!! أو على عكس ذلك، قد تكون مغمورة قليلة الانتشار، ضعيفة التوزيع، وذات اثر محدود، إن لم يكن معدوما.. وبغض النظر عن التأثير في اتجاهات القارئ، فإن الهدف الرئيسي من الصحف الصفراء التي تتناول أسرار السياسيين والفنانين ورجال الأعمال وقضايا أخرى، يتمثل في الاستفادة المالية لديمومة استمرار الصحيفة.

إن مفهوم الصحافة الصفراء يختلف من مجتمع لمجتمع، ولهذا السبب يتوجب ألتحفظ في إطلاق كلمة الصحافة الصفراء على صحف لها دورها في خدمة المجتمع رغم كل ما يلصق بها من اتهامات قد تكون صحيحة، حيث يرفض القائمون على تلك الصحف الاتهام بممارسة الإثارة ودغدغة مشاعر القراء، رغم اعترافهم بنشر صور جريئة في سياق ما ينشرونه من أحداث ووقائع.

*منشأ تسمية الصحافة الصفراء:

هناك من يقول إن منشأ اسم « الصحافة الصفراء » يعود إلى صحافة الكاريكاتير التي ساهم في انتشارها الرسام الشهير « بلاتونريتشارد » فهو الذي ابتدع أول

شخصية كاركاتيرية جماهيرية في الصحافة « الولد الأصفر » الأمريكية باسم الذي كان يناقش القضايا السياسية بطريقة ساخرة وموجعة للسياسيين، وبسببه أطلق لقب الصحافة الصفراء على هذا النوع من الصحافة،

وهناك مصادر تشير إلى أن تعبير الصحافة الصفراء يعود إلى المسلك الذي انتهجه الصحافي الأمريكي « بولستينجوزيف » صاحب أهم جائزة أمريكية في المجال الصحافي، فقد ابتدع هذا الصحافي طريقة جديدة في الصحافة تعتمد على الخبر القصير والفكرة البراقة، والبحث عن الجانب الآخر غير المعروف من الحقيقة، وكان ذلك عام ١٨٨٣ بعد شرائه لصحيفة « نيويورك وولد » .

بينما هناك رأي آخر يقول: لقد ولدت الصحافة الصفراء في أواخر القرن التاسع عشر بالولايات المتحدة الأمريكية وتحديدا في مدينة نيويورك، وذلك حين أبدع أحد الكاريكاتوريين في تصوير الحياة في مباني المدينة المزدحمة، وبرزت من خلال الرسم طفلة بلباس أصفر نالت بعد ذلك شعبية كبيرة وصارت تعرف بالطفلة الصفراء، وعندما انتقل الرسام إلى صحيفة منافسة أخذ معه تلك « الطفلة » وراح يواصل رسمها هناك، وحافظت الصحيفة الأولى على « الطفلة الصفراء » عبر رسام آخر، ثم ظهرت الطفلة في مواد إعلانية ترويجية كثيرة لكلا الصحيفتين المتنافستين، ونشبت حرب التوزيع على أشدها بين الطرفين، وكانت الإثارة هي التي تقف وراء الجميع، ومن هناك أطلق لقب « الصحافة الصفراء » على صحافة الإثارة.

وهناك من يدعي إن من ساعد على نشوء الصحافة الصفراء هو الناشر والصحفي الأمريكي "وليم راندولف هيرست" (١٨٦٣-١٩٥١)، وقد كان له في كل ناحية من نواحي الولايات المتحدة الأمريكية صحيفة أو مجلة.

وقد انتهج في نشر الأخبار نهجا مثيرا، فأظهر الفضائح والجرائم مما ساعد علي نشوء الصحافة الصفراء

أن« هيرست وليم » اشترى صحيفة « جورنال » عندما كانت توزع ٣٠ ألف نسخة، وفي أشهر قليلة وصل توزيعها إلى ٤٠٠ ألف نسخة، فقد استطاع هذا الرجل جلب القراء السلبيين الذين لا يحرصون على قراءة الصحف بشكل عام إلى أطروحاته، خصوصا بعد موقفه المتشدد والمعارض لفكرة دخول أمريكا الحرب بجانب إنكلترا، مما جعل السلطات تعطل وكالة الأنباء التي كان يمتلكها، وتم طرد جميع مراسليه من فرنسا، وكان كل من يحمل إحدى صحفه في كندا يلقى به في السجن لمدة 5 أعوام ويدفع غرامة مالية بقيمة 5 آلاف دولار!

وهنا ينبغي التوقف عند مصطلح آخر هو (الصحافة الشعبية) المقابل لتسمية الصحافة الرسمية (أو الحكومية) .. والذي يختلف عن مصطلح (الصحافة الصفراء)، لان صفة الشعبية تعني مدى اقتراب هذه الصحف من الشعب أو من عامة الناس.. وقدرتها على مخاطبتهم بألسنتهم ولغاتهم وحسب مستوياتهم وفهمهم.. الأمر الذي قد يذهب إلى ملاحظة الأسلوب واللغة والتعبير أو المضمون، مثلما يذهب إلى حجم الصحيفة وطريقة إخراجها. وتلك مسألة أخرى لا تتصل بالذم أو الإساءة بل صفة ايجابية ملازمة لنوع معين من الصحف.

ولا يمكن للحكومات في العالم الثالث أن تلاحق مثل تلك الصحف لأنها لا تمس قدسية الزعيم والحاكم والغريب في الأمر إن تلك الصحف هي الأكثر رواجا بين الناس الذين يحاولون من خلال شرائها، الابتعاد عن أروقة السياسة ومتاعبها وما تخلفه لهم من متاعب.

ولابد من الإشارة إلى أن من أهم الأسباب التي أسهمت في نبذ الصحافة الصفراء وإلحاق الصفات المعيبة بها رغم شعبيتها الكبيرة هو كون خصومها غالبا من السياسيين والشخصيات المهمة والنافذة في المجتمع، ولاشك في أن هذه الشخصيات تتمتع بنفوذ كبير في وسائل الإعلام ذات المنهج التقليدي مما جعل هذه الأخيرة تشن حملات متوالية على كل صحيفة تنتهج هذا الأسلوب متهمة إياها بالكذب والتلفيق وتعمد إثارة الرأي العام بقضايا غير حقيقية!